البحث عن اساس العلوم الإنسانية في القران الكريم

المكان: طهران.

المناسبة: ذكرى ولادة السيدة المعصومة عليها السلام.

الزمان: 01/11/1430هق. 28/07/1388هش. 20/10/2009م.

الحضور: الآلاف من السيدات الباحثات والناشطات في مجال القرآن الكريم.

4321

مرحباً بكن كثيراً أيتها السيدات المحترمات والأخوات العزيزات! إنه ليوم عيد حقيقي بالنسبة لي حيث ألتقي هذا الحشد الكبير والمثقف والمحبّ للقرآن، وإنني لأعدُّ هذا لطفاً من كريمة أهل البيت السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام. نشكر الله على أن هيّأ في بلادنا عهداً تتوجه فيه هذه الجماعة الهائلة من سيدات البلاد وبمحفزات عميقة ومنطقية وعلمية نحو القرآن ونحو فهم القرآن وإشاعته والبحث فيه، وأن يساعدن على ازدهار الأجواء القرآنية للبلاد بهذا الشكل. لا شك أن هذه موهبة كبرى منَّ الله بها على بلادنا.

كل الاقتراحات التي قدمتها السيدات المحترمات هنا جديرة بالاهتمام. سنأخذها إن شاء الله وندرسها ونهتم بها، ونحيلها للمسؤولين عن هذه الأمور. ونتمنى للاقتراحات العلمية والمنطقية والمقبولة أن تأخذ طريقها للتنفيذ إن شاء الله.

أذكر هنا نقطتين: النقطة الأولى هي أصل هذه الحركة النسوية المميزة والعظيمة جداً في بلادنا وفي الجمهورية الإسلامية. والنقطة الثانية تتصل بقضايا القرآن الكريم، أعتقد أن أساس اهتمام سيدات بلادنا بالقرآن ومشاركتهن في الساحة القرآنية ظاهرة يجب أن توضع أمام أنظار الناظرين والباحثين والناقدين والأصدقاء والمعارضين كتوفيق ونجاح كبير لنظام الجمهورية الإسلامية، ليراها الجميع.

النقطة الأولى: انخراط السيدة في قضايا البحث العلمي ـ وهذا لا يختص بالبحوث القرآنية ـ شيء ملفت للنظر. إنني أرى عادةً المجلات التي تنشر في البلاد ـ سواء كانت مجلات علمية بحثية أو علمية ترويجية ـ وأراجعها. ويجد الإنسان أن عدد الكاتبات والباحثات فيها ملحوظ في جميع الحقول التي تهتم بها مجلاتنا. في العلوم الحوزوية، وفي الفقه، وفي الفلسفة، وفي القضايا الجامعية، وفي العلوم الإنسانية، وفي العلوم الطبيعية، نلاحظ أن مساهمة النسوة الإيرانيات مساهمة بارزة وملحوظة، الفتيات يملأن جامعاتنا، والأجواء العلمية تشهد مشاركة واضحة ومدهشة للنساء. ما معنى هذا؟ وأية ظاهرة هذه؟ أية حقيقة هذه؟ متى شهدت البلاد كل هذه العناصر النسوية من الباحثات والدراسات والعالمات والمثقفات والمبلّغات؟ لم يكن مثل هذا الشيء موجوداً في ماضينا التاريخي.

إنما كان هناك عدد قليل جداً من العالمات والمميزات لا يعني مشاركة غالبة وواضحة للمرأة في المجتمع ككل. هذه حالة تختص بعهد الجمهورية الإسلامية. وقد تحققت بفضل سيادة الإسلام في هذا البلد حيث تتمكن النساء من تسجيل هذه المشاركة العلمية والتعبير عن أنفسهن والرقي في تسلّم التميّز والنجاح. هذه من مفاخر نظام الجمهورية الإسلامية.

ولهذا قلت مراراً أمام التجمعات الطلابية والجامعية والشبابية إننا في قضية المرأة لا ندافع عن أنفسنا حيال الدعاوى الغربية، وإنما نهجم، وعلى الغرب ـ وليس الإسلام ـ الدفاع عن نفسه فيما يتعلق بقضية المرأة. الإسلام يمنح المرأة شخصيتها، وهذا خلاف ما كان دوماً في الأنظمة الطاغوتية حيث ينظرون للمرأة نظرة مختلفة. حينما يريد الإسلام عرض نموذج أمثل للمؤمنين يأتي بامرأة لتكون هذا النموذج: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾[1]. هذا هو المثال الأول: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾[2] المثال الثاني.. امرأتان هما النموذج الأمثل للذين آمنوا. وللذين كفروا أيضاً هناك نموذجان نسويان: ﴿إِمْرَأَةَ نُوحٍ وَإِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[3]. أي إنه يجعل المرأة محوراً وعبرة ومرآةً لا للنساء فقط بل للمجتمع كله. هذا ردّ على تلك النظرة التحريفية الخاطئة التي كانت موجودة عن المرأة، ولم تكن نظرةً مذلةً دائماً، لكنها كانت خاطئة على الدوام.

النظرة للمرأة كانت في الأنظمة الطاغوتية مغلوطةً دوماً. وكذا الحال في الغرب اليوم أيضاً. وقد تظهر من بين الناس ـ وكالكثير من الرجال ـ في الأنظمة الغربية شخصيات بارزة ومحترمة ونزيهة، لكن النظرة العامة للمرأة والتي تكرست في الثقافة الغربية نظرة خاطئة، نظرة ذرائعية مُهينة. من وجهة نظر الغرب فإن السبب في أن لا ترتدين الشادر أو الحجاب ليس لأنكن يجب أن تتمتعن بالحرية، فأنتن تؤكدن على تمتعكن بالحرية مع وجود هذا الحجاب. إنما يرمي الغرب إلى غاية أخرى.. إنه يريد المرأة للترفيه عن الرجل ولاستغلاله غير الشرعي، لذلك يريد لها الظهور بشكل معين في المجتمع. هذه أكبر إهانة للمرأة حتى لو غطّوا ذلك بعدة أغطية من المجاملات وأطلقوا عليه أسماء أخرى.

احترام المرأة هو أن تعطى المرأة الفرصة لإظهار طاقاتها ومواهبها الهائلة التي أودعها الله تعالى في كل إنسان ـ بما في ذلك المرأة مضافاً إلى المواهب المودعة لدى المرأة فقط ـ على مستويات شتى.. على مستوى العائلة، وعلى مستوى المجتمع، وعلى المستوى الدولي، ولأجل العلم، والمعرفة، والبحث العلمي، والتربية، والبناء. هذا هو احترام المرأة. أرى أن هذا الشيء يبرز في مجتمعنا بتوفيق وفضل من الله. هذا ما يتعلق بأساس العمل الذي تقوم به السيدات في بلادنا والحمد لله، وهو عمل قيّم جداً، حيث يسجلن مشاركتهن في كل المجالات العلمية وبشكل فاعل مثير للإعجاب. وخصوصاً المشاركة في المنظومة القرآنية والعمل القرآني الذي يعدُّ شيئاً قيماً جداً.

لا أظن أنه يوجد في أي مكانٍ من العالم الإسلامي هذا الكم الكبير من الدوافع والحماس المنصب على الأنشطة القرآنية. طبعاً ليست لدي معلومات دقيقة، ولم أدرس المسألة، ولكن كما يسمع المرء من

---

[1] سورة التحريم، الآية **11**. [2] سورة التحريم، الآية **12**. [3] سورة التحريم، الآية **10**.

المعلومات العامة لا يوجد مثل هذا الشيءّ ولو كان لبان ـ ولا أظن أنه له مثيلاً في العالم الإسلامي. هذه ميزة لكنَّ أنتن فقط. كل هذا العدد من السيدات الباحثات في مختلف قضايا القرآن من القضايا العلمية المحضة إلى القضايا التبليغية، والقضايا التربوية، والشؤون الفنية.. هذا كله برأيي شيء له قيمته. وإذا تم تحقيق الاقتراح الذي طرح ـ ويجب أن يدرس وينظر في أبعاده المختلفة ـ بإقامة مسابقات دولية، عندئذ ستتجلى للعيان قيمة جهود المرأة الإيرانية في مجال القرآن. وهذه مفخرة، سواء للمرأة الإيرانية أو للجمهورية الإسلامية أن تستطيع ممارسة مثل هذا النشاط الملحوظ في المجال القرآني.

على صعيد القرآن، يجب الاعتراف أن مجتمعنا كان بعيداً عن القرآن لسنوات طويلة. ونعمل في عهد الجمهورية الإسلامية على تقليل هذا البعد، وتلافي حالات التأخر، لكن التأخر كان كبيراً جداً. خلال فترة الحكومات الطاغوتية لم يكن للقرآن دور ومشاركة رسمية في المجتمع. هنا وهناك ربما كان بعض الأشخاص على معرفة بالقرآن ـ متدينون يتلون القرآن في دور القرآن ـ لكن كانت تلك تلاوةٌ مجردة للقرآن، التدبر في القرآن كان حالة نادرة جداً خصوصاً على مستوى المجتمع وفي الأوساط العامة. وكانت النتيجة أن ابتعدت مجاميعنا التنويرية والجامعية عن القرآن بالمرة. أي إننا لا نجد حقاً في ذلك الوقت وبين المتعلمين والخريجين شخص له أنسه ومعرفته بالقرآن الكريم ولا أقصد المعرفة الواسعة العميقة بل المعرفة المحدودة، إلا من لهم سابقة دراسة حوزوية وقد حفظوا بعض الآيات من زمن دراستهم الحوزوية. أما في سائر البلدان الإسلامية وخصوصاً في البلدان العربية وبسبب بعض الظروف، فلم يكن الوضع على هذه الشاكلة وهكذا هو اليوم أيضاً. حينما يلتقي المرء مثقفيهم ومتعلميهم وشخصياتهم الجامعية الذين يتولون مناصب حكومية مختلفة يرى أنهم يستخدمون الآيات القرآنية ويذكرونها للتمثيل والاستشهاد والتعضيد والاستدلال، الأمر الذي لم يكن مشهوداً لدى مجاميعنا الثقافية القديمة، لكنه مشهود لدى جيلنا الشاب. وهذا بسبب الابتعاد عن القرآن حيث كنا بعيدين عنه. أما ما هي نوعية التربية والتعليم في تلك البلدان فهذا بحث آخر. كان هذا ولا يزال شيئاً دارجاً في البلدان العربية خصوصاً. لقد واجهنا هذه الظاهرة منذ بداية الثورة. رجال السياسة والحكم في البلدان العربية والذين كنا نعترض دوماً على بعدهم عن مباني القرآن عملياً، ولا نزال نعترض وهو اعتراض حق، كان القرآن حاضراً في أذهانهم وعلى ألسنتهم. كنّا نأسف دوماً لأننا لسنا كذلك. وإذا أردت تشبيه المسألة اليوم لقلت إنهم كانوا كبعض الذوّاقين الإيرانيين الذين يذكرون أثناء كلامهم عبارات أو أبيات من «كلستان» لسعدي الشيرازي أو من ديوان حافظ الشيرازي، أو عبارات لبعض الكتّاب المعروفين.. كان أولئك يستشهدون بالقرآن على هذا الغرار، لكن الأمر لم يكن في بلادنا على هذه الشاكلة. كنّا بعيدين عن القرآن بسبب نوعية التربية قبل الثورة.

ونريد اليوم تلافي القضية، وللحق والإنصاف فقد بُذلت جهود كبيرة في هذا السياق منذ مطلع الثورة وإلى الآن، وها نحن نلاحظ نتائجها، بيد أن هذه هي بداية العمل والطريق. ينبغي الاختلاط والامتزاج بالقرآن. مفاهيم القرآن مفاهيم للحياة وليست مجرد معلومات. قد تكون المعلومات القرآنية لدى شخص ما جيدة ولكن لا أثر للقرآن في حياته إطلاقاً! أشارت بعض السيدات هنا إلى هذا المعنى. علينا السعي

لتجسيد القرآن في حياتنا. قالت إحدى زوجات الرسول الأكرم المكرمات حول أخلاق الرسول حينما سُئلت: «كان خلقه القرآن»[4] أي إنه كان قرآناً متجسداً. ينبغي تحقيق هذا المعنى في مجتمعنا.

هناك حقيقة واضحة جداً تبقى خافية في الغالب بسبب شدة وضوحها. لنطرح هذه الحقيقة ونذكرها. الحقيقة هي أصل تحقق الجمهورية الإسلامية. هذا تجسيد للقرآن. نظام الجمهورية الإسلامية نظام ديني وهو من أكبر مصاديق العمل بالقرآن.. المصداق الذي حققته لنا الثورة. يجب أن لا نغفل عن هذا الشيء. أجل، ثمة داخل هذا الإطار الكبير جداول عديدة ينبغي أن تُملأ، وأعمال كثيرة لا بد أن تنجز، بيد أن المهمة والعمل الرئيسي هو إيجاد هذا النظام.. إيجاد نظام قائم على الدين وتكون هوية المسؤولين فيه وخصوصياتهم وأداؤهم وعلاقتهم بالجماهير وعملهم للناس كلها على أساس الدين وعلى أساس الدساتير الدينية الإسلامية. هذا هو أكبر مصداق من مصاديق العمل بالقرآن.. إنه الشيء الذي قام به الرسول الأكرم حينما هاجر إلى المدينة. ما لم يكن هناك مجتمع ونظام وسلطة مركزية تنشر ظلالها على كافة الأنشطة الاجتماعية فلن تكون هناك ضمانة للأعمال. كان هناك قبل الثورة خيّرون وناصحون قلائل تتحرّق قلوبهم وضمائرهم ويتألمون وينصحون الناس باستمرار ـ في وسائل الإعلام العامة أو ضمن حدود أضيق ـ ويعظونهم والموعظة ليست عديمة التأثير بل تؤثر في القلب، لكنها لا تقبل التحقيق العملي؟ لماذا؟ لأن النظام نظام مغلوط، ولأن اتجاه المجتمع على الضد من العدالة والإنصاف والمروّة والأخلاق. في مثل هذا الاتجاه المغلوط هل من المجدي أن تصرّوا على هذا وذاك أن كن عادلاً، وكن رحيماً، وكن منصفاً؟ الاتجاه هو المهم. أساس الاتجاه متاح بتأسيس نظام له اتجاهه الديني الصحيح. هذا ما قامت به الثورة حيث أسست هذا النظام. ما أروم قوله هو أن لا ينسى باحثونا القرآنيون وشبابنا المتحمس والمتوثب هذه الحقيقة. إنها حقيقة جداً واضحة وساطعة، لكنها تبقى مغفولاً عنها في الغالب. إنها حقيقة مهمة جداً.

ينبغي الدخول في البناء القرآني ضمن هذا الإطار والنهوض بالمهام الأساسية. وذلك من أجل أن يكون المحتوى قرآنياً بالمعنى الحقيقي للكلمة. سلوكنا الفردي، وسلوكنا الإداري، وسلوكياتنا المؤسساتية، سلوكنا في التربية والتعليم ـ أي أجهزة التربية والتعليم بما في ذلك الجامعات ومراكز البحث والحوزات وغيرها ـ وسلوكنا داخل العائلة، وسلوكنا السياسي، وسلوكنا الدولي؛ يجب أن يكون كل هذا على أساس الإسلام. فمتى ستتحقق هذه الغاية؟ حينما نكون قد تعرفنا على المفاهيم القرآنية بشكل صحيح. إنه الشيء الذي يتحقق بهذه الحركة البحثية القرآنية العظيمة، سواء في جانبها النسوي أو الرجالي. هذا هو الاتجاه المنشود الذي ينبغي للبحوث أن تسير فيه.

من النقاط المهمة في الأعمال البحثية القرآنية هي أن الفرد الذي يروم السير في طريق العمل القرآني عليه إعداد فؤاده لمواجهة الحقيقة القرآنية الخالصة. بمعنى أن عليه تطهير فؤاده. إذا لم يكن القلب طاهراً ولم يكن جاهزاً لتقبل الحق والحقيقة من لسان القرآن، وإذا كان مولعاً بالمباني غير الإسلامية وغير الإلهية، ثمَّ واجه القرآن فسوف لن ينتفع منه شيئاً. يقول القرآن: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ

---

[4] فضائل الخمسة، ج**1**، ص **117**.

كَثِيراً﴾[5] طيب، لماذا الإضلال بالقرآن؟ الهداية بالقرآن حالة معلومة وواضحة، ولكن لماذا الإضلال بالقرآن؟ السبب هو: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[6]، الذين في قلوبهم مرض حينما يقرأون القرآن يتضاعف الرجس الذي في داخلهم.. الآيات القرآنية أو السور القرآنية تزيدهم رجساً وقذراً. فما هو هذا الرجس؟ حينما يقول ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فما هو هذا المرض؟ إنه الأمراض الأخلاقية. حينما نكون مصابين بالحسد، والنوايا السيئة، والحرص، والتكالب على الدنيا، وحينما تتغلب علينا الشهوات وطلب السلطة، وحين نسحق الحق ونتجاهله ونكتمه عندها لن ننتفع من القرآن. سوف نتلقّى من القرآن نقيض الشيء الذي ينبغي أن نأخذه منه. يجب اللجوء إلى الله.

ترون أن البعض يقرأون أحياناً آيات قرآنية لدحض الإسلام، ولتسقيط الجمهورية الإسلامية! وللقضاء على الفضائل التي وفرتها لنا الجمهورية الإسلامية! ينبغي التقرّب إلى القرآن بطهر لتؤثر الأنوار القرآنية والذكرى القرآنية في قلوبنا، ونستطيع الانتفاع منها إن شاء الله.

النقطة الثانية: بخصوص البحوث القرآنية هي أن الاهتمام بالمشاريع التأسيسية في البحوث القرآنية حالة ضرورية جداً. ليس كل من كان على معرفة باللغة العربية يستطيع فهم جميع ما في القرآن وإن كان باحثاً قرآنياً. أولاً لا بد من الأنس بالقرآن نفسه. أي أن على الباحث القرآني الاستئناس والاندكاك بمجموع القرآن الكريم. فتلاوة القرآن، وتلاوته مرة أخرى، ومرة أخرى، والتدبر الشخصي في القرآن أمور تساعدنا حينما نبحث عن الحقائق في القرآن فيما يتعلق بموضوع معين، على أن نصل لنتائج جيدة حول ذلك الموضوع. إذن، الأنس بالقرآن أمر لازم.

ثم هناك كيفية استخدام القرآن. الأسلوب الذي يتبعه علماء ديننا وفقهاؤنا في استخدام الآيات والروايات أسلوب مجرّب.. إنه منهج علمي ناضج ومجرّب تماماً. يتعين إتقان هذه الأمور. لا أريد القول إن كل من يروم مزاولة البحث القرآني يجب أن ينخرط في الدراسة الحوزوية لسنوات.. ليس هذا ما أرمي إليه، بيد أن البحث القرآني غير ممكن من دون التعرف على مقدمات فهم القرآن ومبادئه، ومنها المعرفة باللغة ودقائقها وأحوالها والتعرف على بعض مباني أصول الفقه. هذه مقدمات وأدوات ينبغي فهمها، كما يجب التعرف على الروايات والأحاديث ذات الصلة بالآيات القرآنية. هذه كلها أمور مؤثرة في البحوث القرآنية.

والنقطة الأخرى التي نذكرها ولتكن النقطة الأخيرة هي أنني وجهت عتاباً للجامعات والجامعيين بخصوص العلوم الإنسانية. وجهت هذا العتاب مراراً وفي الآونة الأخيرة أيضاً. علومنا الإنسانية مُقامة على مبادئ ومبانٍ متعارضة مع المباني القرآنية والإسلامية.

العلوم الإنسانية الغربية تبتني على رؤية كونية أخرى وعلى فهم مختلف لعالم الخلقة، فهي تقوم غالباً على الرؤية المادية. هذه النظرة نظرة خاطئة. وهذا المبنى مبنى مغلوط. إننا نأتي بهذه العلوم

---

[5] سورة البقرة، الآية **26**.

[2] سورة التوبة، الآية **125**.

الإنسانية على شكل ترجمات من دون أن نُعمِل أي بحث فكري إسلامي فيها، وننشرها في جامعاتنا وندرسها في الأقسام المختلفة. والحال أنه يجب تحرّي المهمة في البحث القرآني. ينبغي التفطن لإشارات القرآن ودقائقه في المجالات المختلفة والبحث عن مباني العلوم الإنسانية في القرآن الكريم واستخراجها. هذه عملية جد أساسية ومهمة. إذا حصل هذا عندئذ يستطيع المفكرون والباحثون والمتخصصون في العلوم الإنسانية المختلفة تشييد صروح شامخة على هذه الأسس والأركان. وطبعاً يستطيعون عندئذ الإطلال على منجزات الآخرين والغربيين ومن حققوا تقدماً في العلوم الإنسانية. إلا أن الأساس يجب أن يكون أساساً قرآنياً.

نتمنى أن يوفقكن الله تعالى. إنني أتقدم بالشكر الجزيل لجميع السيدات المحترمات الناشطات في مجال القرآن في شتى مؤسسات البلاد. إن مشاركتكن في مجال العمل القرآني سوف تلهم المجتمع النسوي في البلد بحيث ترغب النساء الإيرانيات ـ أي نصف المجتمع ـ في الاندكاك بالقرآن إن شاء الله. وإذا ارتبطت المرأة بالقرآن سيتم علاج الكثير من مشكلات المجتمع، فأفراد الجيل اللاحق يتربون في أحضان النساء والمرأة ذات المعرفة والأنس بالقرآن والمتواصلة مع مفاهيم القرآن يمكنها أن تكون مؤثرة جداً في تربية أبنائها. ونتمنى ببركة حركتكن وأنشطتكن العظيمة هذه أن يغدو مجتمعنا في المستقبل قرآنياً أكثر بكثير مما هو عليه اليوم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته